مجلّة معالم المجلّد 07 العدد: 10 السنة 2018 ص: 155-170

البعد الإيديولوجي في ترجمة معاني القرآن عند المستشرقين

ترجمات ريجيس بلاشير وجاك بيرك ومحمد حميد الله الفرنسية أنموذجا

The ideological dimension in translating the meanings of the Qur'an among the orientalist

Translations of Regis Blacher, Jack Burke and Muhammad Hamid-Allah

د. إيمان بن محمد*

الملخص: لا يختلف اثنان على علاقة الاستشراق بالترجمة وعلى دوره الرائد في تفعيل حركيتها من وإلى لغة الضاد. فالاستشراق مشروع ترجمة بامتياز سواء بالمعنى الحقيقي أم المجازي.

وفي خضم الجدال القائم بين المبالغة في الثناء على المستشرقين وبين الإفراط في التحامل عليهم بتجريدهم من كل قصد نبيل، فإننا نرى أن الترجمة الاستشراقية كانت سلاحا ذا حدين: لقد عرّفت الغرب بالحضارة العربية وبانجازاتها، لكنها بالمقابل شوّهت الكثير من صورها وتلاعبت بالعديد من آثارها وحرّفت أهم رموزها وهو القرآن الكريم.

فكيف تؤثر معتقدات المستشرقين الإيديولوجية في ترجمة معاني كلام الله المنزل بلسان عربي مبين معجز؟ وإلى أي مدى كانت ترجمات بعضهم أداة تلاعب به، لاسيما أن النص القرآني بمواصفاته هذه من أصعب النصوص ترجمة على الإطلاق؟

تروم مداخلتنا الإجابة عن هذين التساؤلين من خلال دراسة تحليلية مقارنة لنماذج من ثلاث ترجمات إلى اللغة الفرنسية تعكس ثلاث ايديولوجيات مختلفة قام بها كل من الفرنسيين Régis Blachère "ريجيس بلاشير" وJacques Berque "جاك بيرك" والهندي محمد حميد الله.

الكلمات المفتاحيّة: ترجمة؛ معاني؛ المستشرقين؛ القرآن.

Summary: The translation rewrites an "original" text adapting it to the linguistic, but also cultural and ideological constraints of the arrival language and culture. It is therefore impossible to isolate the ideological aspect of other

* - معهد الترجمة ،جامعة الجزائر2، الجزائر، البريد الإلكتروني ben.imanos@gmail.com

aspects of translation. However, this aspect must not, under any circumstances, distort the original or transform its intentions.

Indeed, the ideology has terribly influenced the translation strategies adopted by many orientalists claiming to dissect the Holy Quran in a "scientific" way. It is extremely explicit since it is often used in this operation as an objective.

Keywords: Translation; Meanings; orientalists; Quran

Résumé : La traduction réécrit un texte « original » en l'adaptant aux contraintes linguistiques, mais aussi culturelles et idéologiques de la langue et de la culture d'arrivée. Il est donc impossible d'isoler l'aspect idéologique des autres aspects de la traduction. Cependant, cet aspect ne doit, en aucun cas, déformer l'original ou transformer ses intentions.

En effet, l'idéologie a terriblement influencé les stratégies de traduction adoptées par beaucoup d'orientalistes prétendant décortiquer le Saint Coran de façon "scientifique ". Elle est extrêmement explicite puisqu'elle est souvent utilisée dans cette opération comme objectif.

Afin d'illustrer ce phénomène, nous analyserons trois traductions françaises du Coran reflétant trois idéologies différentes. Elles sont réalisées par **Régis Blachère**, qui a trop souvent «lu » et traduit le Livre sacré avec un regard imprégné de culture occidentale, **Jacques Berque**, qui a pris en compte des apports de la tradition musulmane, et **Muhammad Hamidullah**, qui adoptait une démarche philologique rigoureuse basée sur la tradition des écrits musulmans.

Mots-clés: traduction; signification; orientalistes; coran

تمهيد: إنّ مفهوم الإيديولوجيا، الذي ظهر لأول مرة عام 1796 على يد الفرنسي أنطوان دستوت دو تراسي Antoine Destutt de Tracy للدلالة على علم جديد يهتم بدراسة الأفكار، يعني – باختصار شديد يقتضيه المقام – نسق الأفكار والمعتقدات في مجتمع ما أو الاتجاه الفكري الذي يتبناه الفرد أو المجتمع. لكنه ارتبط مؤخرا بالمعتقدات السياسية والدينية الخاصة بالأشخاص أو الجماعات وأضحى معناه سلبيا لصلته بالذاتية وبالأفكار المغلوطة.

وتؤكد المقاربة الإيديولوجية في الترجمة أنّ عملية الترجمة موقف إيديولوجي قبل أي شيء آخر، نافية بذلك حيادية أية رسالة في مجال الاتصال، كونها تتعرض للتوجيه الديني أو الثقافي أو السياسي أو الإيديولوجي، ولو بدرجات متفاوتة الحدة.

ويرى أنصار هذا الاتجاه (Meschonnic، Berman، Penrad، ...) أنّ المترجم لا يستطيع منع نفسه من اتخاذ موقف معيّن تجاه لغته أو ثقافته الخاصة أو لغة الآخر أو ثقافته، إلخ. فمفهوم "حيادية" المترجم عندهم ضرب من الخيال والإيديولوجيا جزء لا يتجزأ من عملية الترجمة[1].

وتعدّ ترجمة النصوص الدينية من أكثر النصوص التي قد تتجلّى فيها الإيديولوجيات، وهو ما ينطبق بالتأكيد على ترجمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين الذين يعرّفهم مالك بن نبي بـ«**الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية**»[2].

وصنّف بن نبي المستشرقين في مجموعتين رئيستين:

- ✓ من حيث الزمن: قدماء ومحدثون،
- ✓ من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتاباتهم: جعلهم في طبقتين: طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها، المشوّهين لسمعتها.

وفي خضم الجدال القائم بين المبالغة في الثناء على هؤلاء المستشرقين وبين الإفراط في التحامل عليهم بتجريدهم من كل قصد نبيل، فإننا نرى أن الترجمة الاستشراقية كانت سلاحا ذا حدين:

- لقد عرّفت الغرب بالحضارة العربية وبإنجازاتها؛
- لكنها بالمقابل شوّهت الكثير من صورها وتلاعبت بالعديد من آثارها وحرّفت أهمّ رموزها وهو كتاب الله المقدس.

فكيف يؤثر الجانب الإيديولوجي لدى المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم تحديدا؟ وإلى أي مدى كانت ترجمات بعضهم أداة تلاعب بكلام الله المنزل بلسان عربي مبين معجز، لاسيما أن النص القرآني بمواصفاته هذه من أصعب النصوص ترجمة على الإطلاق؟

إنّ مداخلتنا تروم أساسا الإجابة عن هذين التساؤلين من خلال دراسة نماذج من إحدى أكثر الترجمات القرآنية إثارة للجدل، وهي ترجمة Régis Blachère "ريجيس بلاشير" الفرنسية، ومقارنتها بترجمتين أخريتين لمعاني القرآن الكريم تعكسان أيديولوجيتين مختلفتين: الترجمة الأولى للمستشرق الفرنسي Jacques Berque "جاك بيرك" المعروف باعتداله وبموضوعيته النسبية. فموقعه ضمن المنظومة الاستشراقية المعاصرة يعدّ مميزا بالمقارنة مع غيره من زملائه الذين لم يدخروا جهدا في التهجم على الإسلام والقرآن الكريم وتشويه الحقائق. وتخصّ الترجمة الثانية المسلم الهندي محمد حميد الله.

أما عن خطة المقال، فيتضمن المحاور التالية:

✓ المستشرقون والترجمة القرآنية؛

✓ المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير؛

✓ بعض المغالطات التحريفية في ترجمة بلاشير لمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية ومقارنتها بترجمتي بيرك وحميد الله.

1. المستشرقون والترجمة القرآنية:

يُصنَّف مترجمو معاني القرآن إلى مختلف لغات العالم إلى ثلاثة:

- مترجمون غير مسلمين ممن أتقنوا اللغة العربية وبحثوا في تراثها لأهداف متباينة؛
- المسلمون غير العرب، وكانت ترجماتهم ضربا من التقرب إلى الله وخدمة للدين؛
- مترجمون عرب أتقنوا لغات الشعوب الأخرى وهما نوعان: ردا على الترجمات التي اكتشفوا تحريفها للقرآن وتشويهها لمعانيه، والنوع الثاني عرب غير مسلمين.

أما عن أهداف المستشرقين من ترجمة معاني القرآن، فقد اتّخذت اتجاهين اثنين: إما للاطلاع عليه والاستفادة منه، وإما لمحاربته بعد الوقوف على مضمونه، ومحاولة إفراغه من قدسيته، وتشويه معانيه.

وفي هذا السياق، يقرّ إسماعيل علي محمد[3] بخطأ من أفرط في الثناء على المستشرقين، ممن يذهب إلى أن الدافع العلمي كان وراء نشأة الاستشراق، وأن الرغبة في خدمة العلم كانت الحافز للدراسات الاستشراقية كما خطّأ من أفرط في التحامل على المستشرقين، مجردا إياهم من كل قصد نبيل.

وأوضح مؤلف كتاب **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل** أنه وإن كان هناك من قصد نبيل أو دافع برئ للمستشرقين، إلا أنه يبدو ضئيلا جدا، أو تائها في محيط الدوافع المشبوهة، أو الأهداف المريبة، والمقاصد غير النزيهة، كما يتضح هذا من إنتاج المستشرقين وأعمالهم.

2. المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (1900-1973):

يعدّ ريجيس بلاشير من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين، ولد في ضواحي العاصمة الفرنسية باريس، ثم هاجر مع أسرته إلى المغرب عام 1915 حيث درس اللغة العربية. وبعد حصوله هناك على شهادة البكالوريا، سافر إلى الجزائر لمواصلة تحصيله العلمي في الجامعة لينال شهادة الليسانس في اللغة العربية عام 1922.

وبعد سنوات قضاها مدرّسا للغة العربية وباحثا بمعهد الدراسات المغربية العليا في الرباط، عاد إلى فرنسا، في 1935، ليدرّس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة. وفي العام الموالي، تحصل على دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون حول الشاعر العربي الكبير أبو الطيب المتنبي.

شغل منصب أستاذ الأدب العربي في العصر الوسيط بجامعة السوربون في الفترة الممتدة بين 1950 و1970. وبالموازاة مع التدريس، كانت له نشاطات عديدة: مدير معهد الدراسات الإسلامية بأكاديمية باريس مؤسس جمعية تطوير الدراسات الإسلامية...[4]

ومن أهم أعماله، ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية في طبعتين: الأولى (1950) حسب تسلسل نزول السور القرآنية مخالفا بذلك الترتيب الوارد في المصحف الشريف. وبعد تعرضه لانتقادات شديدة عاد في الطبعة الثانية (1957) إلى احترام الترتيب الأصلي، رغم تشكيكه الدائم في الطريقة التي جُمع بها المصحف في عهد عثمان بن عفان.

كما كتب مجموعة مقالات حول بعض المصطلحات القرآنية (النفس والروح: 1948)، وأعدّ مقارنة بين الآيات القرآنية وفقرات من الأناجيل (1973).

أما فيما يتعلق بالسيرة النبوية، فقد أصدر بلاشير كتابين عن الرسول الكريم وهما: Le Problème de Mahomet: Essai de biographie critique du fondateur de l'Islam (1952) و Dans les pas de Mahomet (1956). وفيهما تحامل على خير الأنام وتشكيك كبير في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة.

كما كانت لبلاشير دراسات في الأدب العربي ولغة الضاد، من أهمها: L'Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du XVe siècle في ثلاثة أجزاء وGrammaire de l'arabe classique وÉléments de l'arabe classique، بالإضافة إلى قاموس عربي-فرنسي-انجليزي.

وقد وقع اختيارنا على دراسة ترجمة المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير تحديدا لعدة أسباب، لعل أهمها:

أولا، ما أحدثته هذه الترجمة من ضجة كبيرة، لاسيما بعد اتهامه بانتهاك قداسة الوحي الإلهي وبالتصرف" المجحف"إزاءه. (تلاعب بترتيب الآيات، حذف وإضافات وتحريف للدلالات الإسلامية).

ثانيا، التعرف على مواقفه التشكيكية في العديد من الحقائق والمسلمات التي نؤمن بها كمسلمين، ونذكر على سبيل المثال: ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تشويه الدلالات الإسلامية...

ثالثا، الرغبة في الوقوف شخصيا على مدى تلاعب بلاشير بالترجمة القرآنية وتحريفه معانيها.

3. بعض المغالطات التحريفية في ترجمة بلاشير لمعاني القرآن ومقارنتها بترجمتي بيرك وحميد الله:

سنحاول، هنا، رصد أهم ما جاء في ترجمة بلاشير القرآنية من مغالطات تحريفية على سبيل الاستدلال. ولإلقاء الضوء بصورة أفضل على هذه "الترجمات الموجهة"، ارتأينا مقارنتها بترجمتي "جاك بيرك"ومحمد حميد الله، كما تقدم معنا.

ومن ثَمّ، فإن هذه الدراسة التحليلية المقارنة ستكون مرتكزة على ثلاث ترجمات ذات توجهات إيديولوجية مختلفة: ملحد، ومسيحي معتدل، ومسلم.

- **عنوان الترجمة:**

إنّ العناوين التي يختارها المستشرقون لترجماتهم القرآنية من شأنها أن تكشف النقاب عن مواقفهم من ترجمة هذا النوع من النصوص، وبالتالي، عن بعض توجّهاتهم الإيديولوجية، وهو ما تبيّنه على سبيل المثال هذه الترجمات:

- ريجيس بلاشير (*Le Coran. Traduction Régis Blachère*)
- جاك بيرك (*Le Coran. Essai de Traduction*)
- محمد حميد الله (*Le Saint Coran et la traduction en langue française du sens de ses versets)*

اختار محمد حميد الله عنوان **"ترجمة معاني القرآن"**، قولا باستحالة ترجمة إعجاز النص القرآني، لذلك نجده يترجم معانيه فقط بالاستعانة بالتفاسير الأصلية التي وضعت بالعربية للنص القرآني. وهو ما فعله كذلك حمزة بوبكر وصلاح الدين كشريد...

ويبدو جاك بيرك في ترجمته القرآنية التي وسمها بـ «**محاولة ترجمة**"، مقرّا بصعوبة نقل خصائص القرآن الكريم البلاغية والبيانية، فاعترف منذ البداية بأنها مجرد محاولة لن تضاهي أبدا النص الأصل.

أما العنوان التي اختاره بلاشير لترجمته **"ترجمة القرآن"**، فيوحي بأنه يعدّ النص القرآني كأي نص عادي يمكن ترجمته وينفي عنه بذلك إعجازه واستحالة ترجمة معانيه إلى اللغات الأخرى بالدقة نفسها التي جاءت بها اللغة العربية التي نزل بها كلام الله المعجز.

ومن ثمّ، فإن موقفه هذا المتجلي منذ البداية في العنوان الذي اجتباه سيتراءى أكثر فأكثر على طول الترجمة من خلال ما قام به من تجاوزات في حق النص القرآني (تصرف في ترتيب السور، حذف، إضافات...).

التلاعب بترتيب السور والآيات القرآنية:

ثاني مغالطة تحريفية وقع فيها بلاشير تتعلق بعدم احترامه لترتيب السور كما وردت في القرآن ومحاولته إعادة ترتيبها بحسب تسلسل نزولها، قبل أن يعود في الطبعة الثانية إلى الترتيب الأصلي رغم تشكيكه في الطريقة التي جُمع بها المصحف في عهد عثمان بن عفان.

وجاء على لسانه في مقدمة ترجمته القرآنية[5] ما يلي:

« Ces textes, aujourd'hui, ne se présentent plus dans l'ordre chronologique de la révélation, mais d'après les longueurs décroissantes des chapitres ou sourates. Dans une certaine mesure on peut donc dire que nous lisons aujourd'hui le Coran à l'envers, puisque les premiers textes, les plus longs, sont d'une façon générale formés de révélations parvenues à MAHOMET vers la fin de sa prédication. »

ففي هذا المقطع، بدأ بلاشير بالتلميح إلى أن القرآن الكريم كان في البداية مرتبا حسب تسلسل النزول (*Ces textes… ne se présentent plus*)، أي كما سبق أن قام هو بترجمته في النسخة الأولى بحسب النزول ثم تغير الترتيب حسب ترتيب طول السور تنازليا.

لكنّ ترتيب سور القرآن الكريم لم يتغير لا تنازليا ولا تصاعديا، بل هو كما كان منذ عهد النبوة. إذ يكاد يكون هناك إجماع من قبل أهل الاختصاص وفي كتب التفاسير والأحاديث الموثوقة أنّ ترتيب الآيات في سورها وكذا ترتيب السور على ما هو عليه المصحف اليوم كلها توقيفية، بأمر من رسول الله صلى الله وعليه وسلم الذي كان له كتبة يكتبون القرآن الكريم بتوجيهاته، وذلك لارتباط هذه المسألة بالإعجاز القرآني ومن المفترض ألّا يمس أحد نظم القرآن الكريم وترتيبه.

وفي هذا السياق، يؤكد محمد أحمد القاسمي[6] أنه عندما كانت الآيات تنزل على خاتم المرسلين، كان جبريل يدلّه على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وقد حفظ الصحابة القرآن بعد وفاة النبي الكريم وأجمعوا على هذا الترتيب.

كما يُعاب على بلاشير محاولته استكمال ما ظن أنه نقص في الآيات بأجزاء من التوراة ونقل بعض الآيات من أماكنها تصحيحا، كما يزعم، للنسخة الأصلية للقرآن الكريم[7]. ومثال ذلك، قيامه عند ترجمة معاني سورة النجم في الصفحة 561 بإضافة (وإنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهنَّ لترتجى) بعد الآية الـ 20. فقد زاد هاتين الجملتين آيتين في القرآن الكريم:

20: et Manat، cette troisième autre?

20 bis : Ce sont les sublimes Déesses

20 ter : et leur intercession est certes souhaitée [8]

لقد أضاف بلاشير هاتين الجملتين رغم علمه بوجود اختلاف بين أهل العلم حول ثبوت قصة الغرانيق، مع ترجيح كونها افتراء على الرسول الكريم وطعن في عصمة التبليغ والرسالة.

وأصل هذه القصة، باختصار شديد، حادثة وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة في بداية الدعوة، ويُقال إنه قرأ بمكة سورة النجم فلما بلغ هذا الموضع(أفرأيتم **اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**)قال فألقى الشيطان على لسانه "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى". فابتهج المشركون وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم.

ورغم تأكيد أغلبية أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الزيادة والنقصان في الوحي، وبأن الشيطان لا سبيل له ولا سلطان على عباد الله المخلصين، فما بالنا بأشرف المرسلين، فإن بلاشير آثر استغلال هذه القصة الضعيفة واعتمد إضافة الجملتين غير الواردين أصلا في النص القرآني.

وفي موقع آخر، في سورة طه، تلاعب بلاشير بترتيب الآيات، فأخذ الآيات 62 -63 -64 (المرقمة عنده 65 – 66 – 67) من موضعِها وأَقحَمها بين الآيتين 60 و61 (62 و63 عنده) دون أدنى تبرير لذلك.

- **ترجمة محمد (ص) بـMahomet :**

غالبا ما تكون للأسماء دلالة معينة، واسم نبينا الكريم "محمد"، صيغة المبالغة من الحمد، وهو، بحسب **لسان العرب**، الذي كثرت خصاله المحمودة. وفي **قاموس المعاني**: المحمود الخصال، المثنى عليه، المشكور، المرضيُّ الأفعال، المفضَّل.

وقد ترجمت الدراسات الاستشراقية اسم "محمد"، صلى الله عليه وسلم، إلى اللغات الأجنبية وفق ثلاث صيغ على الأقل: Mohammed وMuhammad وMahomet.

واختار بلاشير، في جميع أعماله، الاسم المترجم "Mahomet"، وفضلا على كون هذه التسمية لم تحترم النطق الأصلي مع أنها اقتراض، ففيها كذلك شحنة إيديولوجية سلبية لا نظن بلاشير يغفلها. إذ يرجّح أن Mahomet جاءت من "ما حُمدِ"، ذات الأصل العبري، نفيا للحمد عنه صلى الله عليه وسلم، لا على وزن مُفعل العربي-أي محمد-.

كما إن كلمة Mahoumet، بحسب *Dictionnaire du Diable*، تحمل معنى: «*mauvais génie*، *esprit*»، كما جاء في مقال كتبه Michel Masson "ميشال ماسون" [9]بعنوان «A *propos de la forme du nom de Mahomet*» أورد فيه بعض المعاني السلبية لكلمة Mahomet وهي "الوحش" و"الشيطان"!

« (...) Les noms de Mahomet mentionnés ci-dessus peuvent être utilisés aussi avec les sens de « idole », « monstre » et « diable ».

ومن ثمّ، فإنّنا نرى أن اختيار بلاشير لتسمية Mahomet ليس اعتباطا، بل له ارتباط وثيق بايديولوجيته الدينية التي تجلت ملامحها في الكثير من أعماله. كيف لا والمستشرق الفرنسي جاك بيرك مثلا – المعروف بحياديته النسبية والذي يُعتقد أنه أسلم قبل وفاته – فضّل ترجمة "محمد" بـ Muhammed.

- **بعض الأخطاء الترجمية:**

إنّ ترجمة ريجيس بلاشير لمعاني القرآن الكريم تضمنت العديد من الأخطاء الترجمية على مستويات عديدة والتي يرجح أنها أخطاء متعمدة غايتها تحريف مقاصد كتاب الله. ومن بين هذه المغالطات نذكر، دون اعتماد أي تصنيف أو ترتيب لها، ما يلي:

❑ ترجم بلاشير الآية الكريمة(**اقرأ باسم ربك الذي خلق**)(سورة العلق) كما يلي: " **Prêche** *au nom de ton Seigneur qui créa!*"[10]، والمقصود بالفعل "prêcher" في اللغة الفرنسية، كما ورد في قاموس *Le Larousse* الالكتروني:

« Recommander instamment à quelqu'un la pratique de quelque chose, préconiser, conseiller. »

بمعنى "وعظ". ويبدو أن بلاشير مصرّ على اختياره هذا لكن دون أن يبرره، ذلك أنه كتب في الحاشية: "إقرأ" معناه "عظ" وليس "اقرأ" كما يترجم عادة.

وفي ذلك تشكيك في دلالة وقيمة أول كلمة نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "اقرأ" التي ربطها جمهور العلماء بمعنيين: قريب (اقرأ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحا باسم ربك) وآخر بعيد (أُطلب العلم)، لاسيما أن في سورة العلق أكدت عظم شأن القراءة والتعلم وحثت على العناية بهما.

فبإغفال بلاشير هذه القيمة الدلالية العظيمة وحصرها في الموعظة، يكون قد حجب عن القارئ بالفرنسية اهتمام القرآن الكريم بالعلم الذي لا يُنال إلا بالقراءة.

للإشارة، فقد ترجم كل من حميد الله وجاك بيرك الكلمة ذاتها "إقرأ" بـ «Lis".

❑ ويبدو بلاشير مصرّا على ترجمة الكثير من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم بمقابلات مسيحية أو يهودية الشحنة الدلالية، إذ ترجم الآية الكريمة 69 من سورة النساء(**من يطع الله والرسول**

فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)على النحو التالي:

« Ceux qui obéissent à Allah et à **l'Apôtre**, ceux-là sont avec les Prophètes, les justes (siddiq), **les Témoins** et **les Saints** qu'Allah a comblés de bienfaits. Combien ceux-là sont bons comme compagnons »[11]

ويمكن التعليق هنا على ثلاثة أمور على الأقل:

أولا، ترجمة لفظة **"الرسول"** صلى الله عليه وسلم بـ «Apôtre" الذي عرّفه القاموس الفرنسي*Le Larousse الالكتروني* على النحو التالي:

« Bas latin apostolus, du grec apostolos, envoyé de Dieu. Nom qui désigne dans les premiers temps de l'Église soit les douze disciples choisis par Jésus (…), soit les premiers messagers de l'Évangile appelés par vocation particulière (…).

Nom de ceux qui ont, les premiers, porté l'Évangile dans une ville ou dans un pays. »

إنّ هذا التعريف يكشف النقاب عن أصل معنى "apôtre" المسيحي وهو الحواريّ. والحواريون، كما ورد في **لسان العرب**[12]:

« صَفْوَةُ الأَنبياء الذين قد خَلَصُوا لَهُمْ؛ وقال الزجاج : الحواريون خُلْصَانُ الأَنبياء عليهم السلام، وصفوتهم. قال: والدليل على ذلك قول النبي، صلى الله عليه وسلم: الزُّبَيْرُ ابن عمتي وحَوارِيَّ من أُمَّتِي؛ أَي خاصتي من أَصحابي وناصري. قال: وأَصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حواريون، وتأْويل الحواريين في اللغة الذين أُخْلِصُوا ونُقُّوا من كل عيب (...) وقيل لأَصحاب عيسى، عليه السلام: الحواريون للبياض، لأَنهم كانوا قَصَّارين.»

لقد اختار عيسى المسيح عليه السلام في بداية الدعوة أتباعاً يستعين بهم على نشرها إذ يقول الله تعالى **{كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ}**. وقد عُرف هؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسى عليه السلام، واختار منهم مجموعة سمّاهم الرسل. فالحواريون إذًا هم أنصار النبي عيسى عليه السلام ومنهم رسله إلى أهل الطائف.

فهل يجوز أن نطلق على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين لقب حواري؟ أبدا، فالحواري مبشر وليس نبيا ولا رسولا.

واجتبى جاك بيرك، من جهته، ترجمة "رسول"، باللفظ الفرنسي "envoyé"[13] على النحو التالي:

« Car obéir à Dieu et à Son **envoyé**, c'est rejoindre ceux que dieux a gratifiés : prophètes, hommes de vérité, martyrs et justifiés ; Oh ! la compagnie excellente »

في حين آثر حميد الله استعمال كلمة "Messager":[14]

« Quiconque obéit à Dieu et au **Messager**, c'est ceux-là qui seront avec ceux que Dieu a comblés de Son bienfait prophètes, véridiques, martyrs, gens de bien ; et quels bons compagnons que ceux-là »

ثاني ملاحظة الثانية بشأن ترجمة الآية السالفة الذكر تتعلق بكلمة "**الشهداء**" التي فسرها الطبري بكما يلي : " الشهداء" هم جمع شهيد : وهو المقتول في سبيل الله، سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل" (موقع الكتروني)، وهو ما يُعرف في اللغة الفرنسية بـ " martyrs".

لكن بلاشير ترجم "الشهداء" بـ « les Témoins"، أي "الشهود". فهل هذا الخطأ يُعزى إلى جهل بلاشير بأصل الكلمة وخلطه بين "شهيد" و"شاهد"، أم إن غايته كانت التقليل من أهمية هؤلاء؟

أما الملاحظة الثالثة، فتخصّ ترجمة "**الصالحين**"، وهم من صلحت سريرتهم وعلانيتهم، بحسب الطبري بـ"les Saints". وهنا كذلك أقحم بلاشير شحنة دلالية مسيحية، ذلك أن لفظة Saint تعني، وفقا لقاموس *Le Larousse* الالكتروني:

- «**Chrétien** canonisé dont la vie est proposée en exemple par l'Église et auquel est rendu un culte public.

- Représentation, statue d'un personnage auquel **les Églises** catholique ou orientales rendent un culte public.

- Homme, femme, d'une piété et d'une vie exemplaires. ()

بمعنى **قديس. والقديس،** عند النَّصارى، المؤمنُ الذي يُتَوَفَّى طاهرًا فاضلاً. فهي من ألقاب النصارى واليهود التي يطلقونها على أحبارهم ورهبانهم.

اللفظة ذاتها ترجمها جاك بيرك بـ"justifiés"، في حين اختار حميد الله كلمة "gens de bien" والأصح، من وجهة نظرنا، أن نقول "vertueux".

❑ترجم بلاشير الآية 125 من سورة البقرة (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**) على النحو التالي:

« Et [Rappelez-vous] quand Nous fîmes du **Temple** [de la Mekke] un lieu de visitation et un asile pour les Hommes… »

الملفت للانتباه في هذه الترجمة أن كلمة **"البيت"** المقصود بها هنا البيت الحرامَ بَيْتُ اللَّهِ تعالى، أي الكعبة الشريفة، ترجمها بلاشير بـ**"Temple"** وهي المعبد. وإن كانت لهذه اللفظة معنى عام هو "مكان العبادة"، فإن لها، بالمقابل، معاني دينية أخرى لطالما التصقت بها مرتبطة أساسا باليهودية والنصرانية:

فـ"Le temple de Salomon" أو "*Le* Temple de Jérusalem"، أي "هيكل سليمان" أو "معبد القدس"، عند اليهود، أهم مكان للعبادة بناه سليمان لهم ولديانتهم كما يزعمون.

كما ارتبط مفهوم المعبد، لاسيما عند الفرنسيين، بالمسيحية البروتستانتية تمييزا عن الكنيسة الكاثوليكية مثلما يوضحه المقطع التالي:

« Les protestants français ont préféré utiliser ce terme de temple plutôt que celui d'église qu'ils ont réservé pour désigner l'assemblée des fidèles. »[15]

وما يزيد من تشكيكنا في نية بلاشير في ترجمة "البيت" بـ"Temple" ذات الدلالتين اليهودية والمسيحية أنّ جاك بيرك، مثلا، تفادى استعمال هذا المقابل "المشبوه"، في ترجمته الآية ذاتها، وآثر لفظة "la Maison" أي "بيت الله" أو "البيت الحرام" في قوله:

« Lors Nous constituâmes de **la Maison** un lieu de retour et de sauveté pour les hommes, pour les gens, et un asile. »

وكذلك فعل محمد حميد الله:

« Et quand Nous fîmes de **la Maison** une retraite, pour les gens, et un asile. »

الخاتمة:

إنّ الاستراتيجيات التي اتّبعها بلاشير في ترجمته القرآنية من تلاعب بترتيب الآيات وتصرّف في النص الأصل بحذف عناصر رئيسة تارة وإضافة أخرى تارة ثانية وتحريف دلالات ألفاظ إسلامية بإعطائها صبغة مسيحية أو يهودية توحي بثلاث حقائق على الأقل:

- ✓ أولا، إن بلاشير يعدّ النص القرآني كأي نص يمكن ترجمته وينفي عنه بذلك إعجازه وقدسيته،
- ✓ ثانيا، إن مثل هذه الترجمات تؤكد مرة أخرى مساعي الكثير من المستشرقين إلى تشويه القرآن وتحريفه بهدف محاربة الإسلام والمسلمين، فلم يجدوا أحسن من الترجمة وسيلة لتحقيق ذلك.

✓ ثالثا، إنه من الصعب فصل الإيديولوجيا عن الترجمة، كونها تفرض نفسها في شتى أنواع التواصل، وكثيرا ما تتسرب إلى النص المترجَم في غفلة من المترجم نفسه المتشبع بأفكار ومعتقدات مجتمعة. كما إنّ الترجمة الدينية كباقي الإنتاجات الفكرية ليست بريئة البتة. لكن لا يجب أبدا أن يصل تأثير الولاء لايديولوجيا معينة بالمترجم إلى الخروج عن قواعد الترجمة المتفق عليها بتحريف معنى النص الأصلي وتشويهه، لاسيما في مجال حساس كالدين وفي نص معجز كالقرآن الكريم.

ومع ذلك، فالاستشراق ليس شرا كله، في ظل وجود ترجمات قرآنية جادة سعت إلى الوفاء للنص القرآني شكلا ومضمونا.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **باللغة العربية:**

- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة **المستشرقين**، دار العلم للملايين، 1989، ط.2.
- البقاعي، محمد خير بن محمود، **ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية -رينيه خوام، وأندريه شوركي وجاك بيرك-نموذجاً**،
- https://books.moswrat.com/moswrat.com-1465650263-280.pdf، 1422 ه، تم تصفح الموقع بتاريخ 25. 9. 2017.
- بن نبي، مالك، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، إصدار مسجد الطلبة بالجامعة، الجزائر، 1969.
- سعيد، إدوارد، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.
- القاسمي، محمد أحمد، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره**، مصر 1979، ط1.
- **قاموس المعاني**: http://www.almaany.com/
- **لسان العرب**: http://www.baheth.info/
- محمد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، دار الكلمة للنشر، القاهرة، 2014، الطبعة الثالثة.

2. **باللغة الفرنسية:**

- Berque Jacques, *Le Coran - Essai de traduction*, Editions Albin Michel, Paris, 1995.
- Blachère Régis, *Le Coran*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1966.
- Guidère Mathieu, « Qu'est-ce que la communication orientée », in *Traduction et Communication orientée*, Le Manuscrit, Paris, 2009.

- Hamidullah Muhammad, *Le Saint Coran et la traduction en langue française du sens de ses versets*, Club français de Livre, France, sans date.

- Laoust Henri, « Notice sur la vie et les travaux de M. Régis Blachère, membre de l'Académie », in: *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 121e année, N. 3, 1977, pp. 560-576.

- *Le Larousse*, http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais.

Masson Michel, « A propos de la forme du nom de Mahomet », *Bulletin de la SELEFA*, n° 2,

http://www.selefa.asso.fr/files_pdf/AcBul09T02.pdf, 2003.

الهوامش

[1] أنظر:

Mathieu Guidère, « Qu'est-ce que la communication orientée », in *Traduction et Communication orientée*, Le Manuscrit, Paris, 2009.

[2] مالك بن بن نبي، مالك، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، إصدار مسجد الطلبة بالجامعة الجزائر، 1969، ص. 5.

[3] إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل : مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، دار الكلمة للنشر القاهرة، 2014، الطبعة الثالثة.

[4] أنظر:

Henri Laoust, « Notice sur la vie et les travaux de M. Régis Blachère, membre de l'Académie », in: *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 121e année, N. 3, 1977,pp. 562-563.

[5] أنظر :

Régis Blachère, *Le Coran*, Maisonneuve et Larose , Paris, 1966, p. 11.

[6] محمد أحمد القاسمي، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره**، مصر، 1979، ط1، ص. 244.

[7] محمد خير بن محمود البقاعي، **ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية -رينيه خوام، وأندريه شوركي وجاك بيرك- نموذجاً**، https://books.moswrat.com/moswrat.com-1465650263-280.pdf، 1422 ه، تم تصفح الموقع بتاريخ 25. 9. 2017.

[8] أنظر Régis Blachère، مرجع سابق الذكر، ص. 561.

[9] أنظر :

Michel Masson, « A propos de la forme du nom de Mahomet », *Bulletin de la SELEFA*, n° 2, http://www.selefa.asso.fr/files_pdf/AcBul09T02.pdf, 2003.

تم تصفح الموقع بتاريخ 26. 9. 2017.

[10] أنظر Régis Blachère، مرجع سابق الذكر، ص. 657.

[11] أنظر Régis Blachère، مرجع سابق الذكر، ص. 116.

[12] ابن منظور،

http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8A، تم تصفح الموقع بتاريخ 28. 9. 2017.

[13] أنظر:

Jacques Berque, *Le Coran - Essai de traduction*, Editions Albin Michel, Paris, 1995, p. 105.

[14] أنظر:

Muhammad Hamidullah, *Le Saint Coran et la traduction en langue française du sens de ses versets*, Club français de Livre, France, sans date, p. 95.

[15] أنظر: http://temples.free.fr/definition.htm، تم تصفح الموقع بتاريخ 28. 9. 2017.